



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

مقومات الثقافة الإسلامية

إعداد

الدكتور عارف علي عارف القره داغي

الأستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصول والمخاض

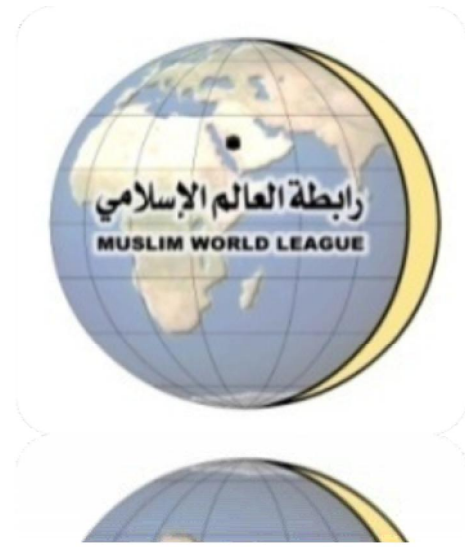
الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤-٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨-٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تليكس: ٥٤٠٠٠٩ و ٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي علّم الإنسان البيان، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي غرس أصول الثقافة الإسلامية في قلوب أصحابه، وطالب المسلمين بالتحلّي بها في كل مكان، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم البعث والنشور. أما بعد: فإنّ الثقافة عماد الأمم، وأُسُّ الحضارات، ومُرشدة الشعوب، وهي الخلفية المحرّكة لأيّ شعبٍ من شعوب العالم؛ ذلك أنّ الشعب يقاس بعقيدته، وأخلاقه، وإنجازاته العلمية، وإسهاماته الحضارية، وكلّها من مصادقات الثقافة وأفرادها.

وقد لعبت الثقافة الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة؛ دورًا بارزًا في بناء أمةٍ هي خير أمم الأرض؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لذا فقد ملكت مقوماتٍ أهلّتها للتميز على الثقافات الأخرى؛ بإلهية مصدرها، وصحة عقيدتها، وفواضل أخلاقها، وشمولها لحقول الحياة كلّها، ونظرها المتوازنة للإنسان والكون والحياة، وواقعيتها، وإيجابيتها الفاعلة، وعالمية رسالتها. ومن هنا، كانت الثقافة الإسلامية مستهدفةً من أعداء الإسلام في القديم والحديث، وإن اختلفت الصور، وتعدّدت السبل في كل عصرٍ.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تعرّض الثقافة الإسلامية لتحدياتٍ جسيمة، وشبهاتٍ مغرّضة في العصر الحاضر؛ بقصد زعزعة ثقة المسلم بدينه وعقيدته ومسّخ شخصيته الإسلامية، ومن هنا، فإنّ البحث يسعى لاستجلاء مفهوم الثقافة الإسلامية، وأهميتها، وأهدافها، وتبيان مقوماتها، واستنطاق دور الثقافة الإسلامية في التحديات المعاصرة.

أسئلة البحث:

- يرمي البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:
- ١ - ما مفهوم الثقافة الإسلامية؟ وما أهميتها؟ وأهدافها؟
 - ٢ - ما مقومات الثقافة الإسلامية؟
 - ٣ - ما دور الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة؟

أهداف البحث:

- يرنو البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:
- ١ - استعراض مفهوم الثقافة الإسلامية، وأهميتها، وأهدافها.
 - ٢ - تبيان مقومات الثقافة الإسلامية.
 - ٣ - استجلاء دور الثقافة الإسلامية في مجابهة التحديات المعاصرة.

خطة البحث:

مقدمة

- المبحث الأول: مفهوم الثقافة الإسلامية.
- المطلب الأول: تعريف الثقافة الإسلامية لغة ومصطلحاً.
- المطلب الثاني: أهمية الثقافة الإسلامية وأهدافها.
- المبحث الثاني: مقومات الثقافة الإسلامية.
- المطلب الأول: مصادر الثقافة الإسلامية.
- المطلب الثاني: خصائص الثقافة الإسلامية.
- المطلب الثالث: دور الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة.

خاتمة

والله أسأل أن يتقبله بقبولٍ حسنٍ، وأن ينفع به، ويغفر زلاتنا، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جديرٌ.

المبحث الأول: مفهـوم الثقافة الإسلامية

المطلب الأول: تعريف الثقافة الإسلامية لغة ومصطلحاً

الفرع الأول: الثقافة لغةً

اشتقت لفظة (الثقافة) من الفعل الثلاثي المجرد (ثَقَّفَ يَثْقِفُ)، وتدلُّ على معانٍ عديدة، منها: تقويم اعوجاج الشيء^(١)، وحِذْق العلم، والصناعة، والظَّفَر بالشيء المطلوب، والتأديب، والتهذيب، والتعليم، وفلان ثقيف، أي: حاذق فَطِن^(٢).

ونستنتج أن الثقافة شاملةٌ لمفرداتٍ عديدة؛ إذ نلمس في حديقتهـا زهرة العلم، والتربية، والسلوك، والصناعة، والسعي المتواصل للظفر بالمراد.

الفرع الثاني: الثقافة مصطلحاً

تعددت تعاريف (الثقافة)، ومن أحسنها تعريف المجمع اللغوي بأنها: «العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذقُ فيها»^(٣).

وعرّفها المفكر الإسلامي مالك بن نبي بأنها: «مجموعة من الصفات الخُلُقِيَّة، والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح - لا شعورياً - العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي وُلد فيه»^(٤).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١/ ٣٨٢.

(٢) المعجم الوسيط، ١/ ٩٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، مشكلة الثقافة، ص ٧٤.

الفرع الثالث: الثقافة الإسلامية

يعدُّ مصطلح (الثقافة الإسلامية) من المصطلحات المعاصرة؛ لذا تباينت وجهات نظر الباحثين في تعريفه، شأن كلِّ المصطلحات الحديثة، ونزجي أبرزها فيما يأتي:

عُرفت الثقافة الإسلامية بأنها: «العِلْم الذي يبحث بالمرتكزات الأساس للفكر الإسلامي لبناء الذات ومواجهة التحديات المعاصرة»^(١).

أو «هي علم دراسة التصورات الكلية والمستجدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين؛ بمنهجية شمولية مترابطة»^(٢).

ومن تعريفاتها أنها: «الشخصية الإسلامية التي تقوم على عقيدة التوحيد وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية والأخلاق الإيمانية المستقاة من مصادر الإسلام الأساسية، وهي الكتاب والسنة»^(٣).

ونستشفُّ من هذه التعريفات ما يلي:

- ١- لم تتفق كلمة الباحثين المسلمين على تعريفٍ محدّدٍ لمصطلح الثقافة الإسلامية، ولعلَّ مرَدِّ ذلك راجعٌ إلى حداثة المصطلح، وثراء لفظة (الثقافة) من حيث أبعادها الكبيرة، ودلالاتها العريضة، ولعلقتها بالألفاظ المعنوية التي يصعب تحديد المرام منها.
- ٢- ظهرت الحاجة إلى دراسة (الثقافة الإسلامية) بعد نشوء القضايا المعاصرة في المجتمعات المسلمة، والتحديات التي تعرَّض لها العالم الإسلامي.

(١) أحمد صبحي العيادي، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠.

(٢) محمد أبو يحيى وآخرون، الثقافة الإسلامية: ثقافة المسلم وتحديات العصر، ص ٢١.

(٣) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ١٧.

- ٣- تُركّز الثقافة الإسلامية على بناء إنسانٍ مسلمٍ واعٍ بدينه وبالواقع الذي يعيش فيه.
- ٤- تسعى الثقافة الإسلامية إلى رصد التحديات المعاصرة ودراستها، وتنبيه المسلمين عليها، وكشف عوارها، ودحض الشبهات المستثارة حول مفاهيم الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية الثقافة الإسلامية وأهدافها.

الفرع الأول: أهمية الثقافة الإسلامية.

أولاً: الاعتناء بالعبقيرة الإسلامية

احتلّ الاكتراث بالعبقيرة الإسلامية مكانةً عاليةً في مسيرة الثقافة الإسلامية؛ ذلك أنّ العقيدة الإسلامية هي الدرع الحصين لحماية المسلم في مواجهة التحديات المعاصرة المتشعبة، وللصمود أمام الفلسفات البشرية الوضعية التي أرادت وعزمت على نزع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، تارةً بإثارة الشبهات حول المفاهيم الإسلامية في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتارةً بالاستغاثة والاستنجد بالغزو الفكري والثقافي للعالم الإسلامي من خلال أساليب شتى، كالتبشير، والاستشراق، والاشتراكية، والرأسمالية، والعلمانية، وغيرها.

ثانياً: بناء شخصية المسلم المتميز

تنجلي أهمية الثقافة الإسلامية في سعيها الدؤوب إلى ربط المسلم بماضيه، دون نسيان حاضره ومستقبله، وتفهمه بأنه عضو فاعلٌ ومهم ومؤثر في بنيان المجتمع المسلم، وأنه يكمل ما بدأ به أسلافه، وأنه قوة متفاعلة مع قيمه، لترسخ كيان الأمة الإسلامية في الأرض.

ومن ثمرات هذا الإحساس، فإنه يمثل «الشخصية الإسلامية في عالم الضمير، وفي واقع حياته الخاصة وفي واقع مجتمعه، ويستطيع أيضاً أن يوصل الأمانة إلى مَنْ بعده، ويمدهم بمعارفٍ جمّةٍ وحقائقٍ علميةٍ ثابتة، ويمهد لهم سبيل الاستمرار في تشييد النهضة العظيمة»^(١).

ثالثاً: مواجهة التحديات المعاصرة

ومن المظان التي تُبرز أهمية الثقافة الإسلامية: تنبيه المسلم إلى التحديات والمؤامرات والمكائد التي تدبّر له ولدينه من أعدائه المغرضين؛ لذا يجب على كل مسلم إدراك معنى الثقافة الإسلامية بعمق، وتلبية مبادئها، وتطبيق منهجها على نفسه، وضمن أسرته، وفي مجتمعه.

ومن هنا، فإن الالتزام بالثقافة الإسلامية، والانقياد لحدود الله تعالى، والمتانة في العقيدة الإسلامية، ووحدة صفوف المسلمين وتراصّها؛ أسلوبٌ وقائي مهم لتجنب الوقوع في مستنقع أعداء الإسلام - وما أكثرهم - وإخفاق مخططاتهم.

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٤٣.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ الثقافة الإسلامية وسيلةٌ مهمةٌ لكل مسلم يريد أن يعيش حياةً إسلاميةً تحت مظلةً عقيدة التوحيد، وهي سلاح قوي في يد كل مسلم واعٍ؛ لمجابهة التحديات المعاصرة والتغلب عليها، ولمسايرة ركب الحياة^(١).

الفرع الثاني: أهداف الثقافة الإسلامية.

ترنو الثقافة الإسلامية تحقيق غاياتٍ نبيلة، وأهدافٍ منيفة، ومنها^(٢):

- ١- تبيان مبادئ العقيدة الإسلامية، وثبيتها في نفس المسلم؛ ليصمد بوعي وعلمٍ أمام المذاهب الردية.
- ٢- بناء مجتمع إسلامي مثالي واقعي، وتأسيس شخصية إسلامية متميزة ومتكاملة.
- ٣- إعادة بناء ثقافة المسلم على مبادئ الإسلام؛ ليُضحى نقيًا من الخرافات والأساطير وتقاليد الجاهلية.
- ٤- إحياء صلة المسلمين بالإسلام بتطبيق أحكامه على واقع الأرض؛ ذلك أن الإسلام عقيدة، وشريعة، ونظام متكامل للحياة، وبهذا يصبح متممًا للإسلام بروحه وجسده.
- ٥- العمل على التحلي بالأخلاقيات الإسلامية وآدابها وتعاليمها؛ لتغطي الثقافة الإسلامية الصالحة كلَّ نواحي الحياة.

(١) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٢) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، ص ٤٠، ٤١.

المبحث الثاني: مقومات الثقافة الإسلامية

المطلب الأول: مصادر الثقافة الإسلامية

الفرع الأول: القرآن الكريم

القرآن الكريم المصدر الأول والرئيس للشريعة الإسلامية، وهو دستور المسلمين، ومرجعهم في كافة شؤون الحياة، ومنه يتعرفون على أحكام دينهم في العقائد، والعبادات، والمعاملات المالية، والأحوال الشخصية، والعلاقات الدولية، ونظام الجنایات والعقوبات، وغير ذلك، وقد نظم القرآن علاقة الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى، ومع نفسه، ومع غيره؛ لذا فهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية ومُرشدُها، بل هو جوهرها الذي رَسَمَ خريطة الثقافة الإسلامية وشيّد بنائها.

والقرآن الكريم مبراً من كلِّ نقصٍ أو هوىٍ قد يؤثّر في الفكر الإنساني أو يرافق العمل البشري، وهو يلبي حاجات الفطرة الإنسانية كلها، ومن هنا، فالثقافة الإسلامية مختلفة تماماً عن الثقافة الغربية المستمدة مصادرها من الفكر الفلسفي اليوناني، والقانون الروماني، ومن الفلسفة الوضعية أو النصرانية المحرّفة^(١).

الفرع الثاني: الحديث النبوي

الحديث النبوي الصحيح؛ المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، ويتضمن كلَّ ما صدر عن الرسول ﷺ من قولٍ، وفعلٍ، وتقرير، وصفاتٍ خلقية، أو خلقية.

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٢٠.

ووظيفة الحديث النبوي: تقييد مطلق القرآن الكريم، أو تفصيل مجمله، أو تخصيص عامه، أو تقرير أحكامه، أو تشريع حكمٍ جديدٍ.

والقرآن الكريم، والسنة النبوية، كانت لهما حصّة الأسد من شُبهات الأعداء؛ ذلك أنّ النيل منهما قضاءً على جذور الإسلام، ولكن يأبى الله إلا أن يتمّ نوره، ويحفظّ الوحيين.

الفرع الثالث: التراث الإسلامي

التراث «- بوجه عام- هو ما يخلفه السابق للاحق، في الدين، والفكر، والأخلاق، والشرائع، والآداب، وغير ذلك، والتراث الإسلامي هو النتاج الإنساني الفكري والوجداني، الذي خلفته لنا أجيال الأمة الإسلامية السابقة، ويمكن تحديده في أقسام ثلاثة هي: «التراث الديني»، «التراث الفكري العام»، «والتراث الوجداني»: الأدبي والفني بشُعبه المتعددة»^(١).

ويجب التفرقة بين الوحي الإلهي (الكتاب والسنة النبوية الصحيحة)، وبين التراث؛ لأنّ الوحي منزّه عن الباطل، معصوم من الخطأ قليله وكثيره، دقيقه وجليله، وهو مطلق عن الزمان والمكان، أما التراث فهو نتاج بشري يدعن لضغوطات الزمان والمكان وتأثيراتهما، ويعتريه ما يعتري الإنسان من قصورٍ وهوىٍّ وخطأ^(٢)، وعليه، فالكتاب والسنة خارجان عن دائرة التراث.

(١) جمال سلطان، الغارة على التراث الإسلامي، ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢.

الفرع الرابع: الخبرات البشرية النافعة.

هي تلك المعارف والعلوم التي توصلت الإنسانية إليها؛ لخدمة المجتمع البشري، نتيجةً لتراكم الخبرات من خلال البحوث والاكتشافات، أو عن طريق المنهج التجريبي، أو من خلال التطوير والإضافة في مختلف حقول الحياة^(١).

ولا صير من الاستفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم، مادامت لا تتناقض مع أصول الشريعة الإسلامية ومقاصدها؛ ذلك أن الحكمة ضالة المؤمن؛ أينما وجدها- في الشرق، أو في الغرب، أو في غيرهما- فهو أحقُّ بها.

المطلب الثاني: خصائص الثقافة الإسلامية.

الفرع الأول: ربانية المصدر

تتميز الثقافة الإسلامية في إلهية مصدرها، وهذه «أم خصائصها»^(٢)؛ ذلك أن المميزات الأخرى عائدة إليها، ومبتناة عليها، ومتولدة منها، وبهذه الميزة تميزت عن الثقافات الأخرى التي هي بشرية المصدر، كالثقافة المستندة إلى الفلسفات المادية أو الوثنية، كما أصبحت تتسم بالصحة والصدق والخلود؛ إذ الكتب السماوية الأخرى حُرِّفت وبُدِّلت، فلم تُعد تحمِل طبيعتها الربانية، بخلاف القرآن الكريم الذي بقي محفوظاً مصداقاً لوعده الله تعالى.

لذا فالثقافة الإسلامية هي البيئة التي تُؤسِّس سنن وطريقة حياة الأمة وتُربي أجيالها^(٣).

(١) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، ص ٤٩.

(٢) يحيى رامز كوكش، خالد إبراهيم الفتاني، الواضح في الثقافة الإسلامية، ص ١٠٣.

(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ٦٨.

ومن موجبات هذه الخصيصة وآثارها أنها^(١):

- ١ - تجعل النفس الإنسانية سليمةً من الصراع والتشتت، واتباع الهوى، واقتفاء الشك.
- ٢ - تحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، واتباع الشهوات، والأنانية.
- ٣ - عصمة من التطرف والاختلاف والتناقض الذي تئنُّ منه المناهج والأنظمة البشرية والمحرفة.
- ٤ - بريئةٌ من الظلم والنقص.

الفرع الثاني: الشمولية

تتميز الثقافة الإسلامية في انطلاقتها من شمولية الإسلام للكون والحياة والإنسان؛ ذلك أن الإسلام يخاطب روح الإنسان وعقله وجسده، ويشمل حياة الدنيا والآخرة، والفرد والجماعة.

ومن أبرز مظاهر هذه الشمولية: النقاط الثلاثة التالية^(٢):

- ١ - عقيدة الإسلام تُعطي تصورًا شاملاً عن الإنسان والحياة والكون، وتجب عن تلك القضايا العظمى التي لم تستطع الإجابة عنها؛ أساطينُ الفلسفة وكبرى نظرياتها، والتي حيرت الفكر الإنساني ولا تزال تحيره؛ ذلك أن الإنسان كان ولا يزال يتساءل عن أصل نشأته، ومصيره، والغاية من وجوده، والوظيفة المنوط بها في هذا الوجود، وغير ذلك، وقد أجابت العقيدة الإسلامية عن هذه الأسئلة، بأسلوبٍ مقنعٍ.

(١) محمد أبو يحيى، الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، ص ١٠٦-١٠٩.

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ٧٣-٧٤.

٢- تصاحب الشريعة الإسلامية الإنسان في الأطوار التي يمر بها في الحياة: الطفولة، الشباب، والشيخوخة، بل وهو جنين في بطن أمه قبل الولادة، ثم وهو ميت في قبره بعد الممات، فلكل مرحلة أحكامها، ولم ينس الإسلام المجتمع في كل المجالات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية وغيرها.

٣- شملت الشريعة الإسلامية كل التشريعات والقوانين التي أسماها الإنسان بأسماء شتى، كقانون الأحوال الشخصية، والقانون المدني، والإداري، والدستوري، والدولي، والجنائي، وغيرها، بيد أنها تميزت عنها بأنها تقوم على الوحي المنزل من عند الله تعالى.

وبهذه الشمولية؛ انتفى عن الثقافة الإسلامية ذلك التناقض الذي أقامته التصورات المنحرفة بين الروح والمادة، وقد كانت عقيدة الخطيئة الأولى التي أتت بها النصرانية؛ الأساس الأول لهذا التناقض، وبذلك التقت مع العقائد الزائفة الأخرى؛ كالبوذية، والبرهمية، ولم تكن الفلسفات القديمة والحديثة أحسن حالاً في تصور الإنسان من هذا التصور النصراني؛ ذلك أن تصورهما ناقص محدود، تناول الإنسان من ناحية، وأهمله من نواحي أخرى، فمنها من اعتنى بجانبه العقلي فحسب، ومنها من اقتصرت بجانبه الاجتماعي فقط، ومنها من أجحف فأتى بافتراضاتٍ عجيبة غريبة عن ترتيب الإنسان بين الأحياء الأخرى حسب نظرية النشوء والارتقاء^(١).

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٦٨، ٦٩.

الفرع الثالث: التوازن

أقامت الثقافة الإسلامية توازناً دقيقاً بين المطالب الروحية والمادية، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والمجتمع، وهكذا.

ومن مظاهر التوازن في الثقافة الإسلامية ما يلي^(١):

١- التوازن بين مطالب الإنسان الروحية والجسدية؛ إذ لكل منهما مطالبه، فأمر بأداء العبادات إشباعاً لحاجة الروح، وأباح الطيبات من المأكل والمشرب غذاءً للبدن.

٢- توازنها بين العبادة والعمل، فجعل لكل منهما وقتاً معيناً؛ لكيلا يطغى أحدهما على الآخر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

٣- التوازن بين الخوف والرجاء، فلم يجعل المسلم يعيش في خوفٍ مستمر من عذاب الله تعالى فييأس من رحمته، ولا جعله في دائرة الرجاء المستمر فيأمنُ نعمة الله وعذابه.

الفرع الرابع: الإنسانية

مقياس الثقافة الإسلامية للإنسان واحداً، لا تبطله القومية أو الجنس أو اللون أو العنصرية، «فليست ثقافة العرب ولا الفرس والبربر، وليست ثقافة الرجل الأبيض ولا الأسود، إنها ثقافة البشر كلهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم، لم توضع لجنس ولا لليون ولا لبيئة»^(٢).

(١) الواضح في الثقافة الإسلامية، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ٧١.

وعلى هذا، تُعدّ الثقافة الإسلامية الثقافة الوحيدة التي يمكن وسُمها بالإنسانية؛ ذلك أن جميع عناصرها (التربوية، والروحية، والأخلاقية، والنفسية)، وقوانينها؛ أتت وفق الطبيعة الذاتية للإنسان، مجردة عن إطار المكان والزمان؛ إذ الإنسان من الناحية التي شملته الثقافة الإسلامية؛ ثابت لا يتغير، وبيان ذلك، أنّ الإنسان مذ آدم عليه الصلاة والسلام إلى آخر إنسان على وجه الأرض؛ واحدٌ في عواطفه، وأشواقه، وروحه، وضروراته، وغرائزه، أما الجانب المتغير في الإنسان؛ فهو الجانب العملي، أو الناحية التي يتعامل فيها الإنسان مع الكون^(١).

الفرع الخامس: الواقعية

يقصد بها أن الثقافة الإسلامية تُسنّ التشريعات للإنسان من حيث هو إنسان؛ ذلك أنّ الإنسان فيه جانب القوة والضعف، فيعلو أوقاتاً ويهبط أحياناً؛ لذا فهو يفتقر إلى الإسلام الذي يرتقي به إلى مدارج الكمال، فيمدحه إذا استقام، ويصّره إذا أخطأ، ويفتح له باب التوبة إذا خالف، ويرشده إلى الرخصة في أوقات المرض والضعف، ولا يكلفه فوق طاقته^(٢).

الفرع السادس: الإيجابية المؤثرة

من مميزات الثقافة الإسلامية: أنها تمتلك الإيجابية الفاعلة، ويُقصد بها: استئصال شأفة الفساد والإفساد في الأرض، واستثمار خيراتها لصالح العباد والبلاد.

(١) إنسانية الثقافة الإسلامية مدخل وتمهيد، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ٧٥، ٧٦.

وعلى هذا، فإنَّ الثقافة الإسلامية تربي المسلمَ على الإيجابية في الحياة فيُضحى إيجابياً مع نفسه، بتحليلها بالفضائل، وتخليها عن الرذائل.

وقد دعت الثقافة الإسلامية المسلمَ إلى الإيجابية ونبت السُّلبية، فيُحسن إلى الناس، والحيوانات، والبيئة، سواء أحسن الناس أم أساؤوا، فهو ليس إمعةً.

ومن مظاهر إيجابية الثقافة الإسلامية: إلزامها المسلمَ بالعمل والسعي في الأرض حسب قدرته وكفاءته، وحثُّه من التواكل، والتكاسل، والتقاعس، والتخاذل.

المطلب الثالث: دور الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة

لقد تعرّضت أمة الإسلام منذ بزوغ فجرها إلى مهدداتٍ عديدة، وتحديات كثيرة، تحاول تقويض أعمدها، وتهديم بنائها، بدءاً بعصر الرسول ﷺ إلى عصرنا الحاضر، وإن تباينت الأساليب، واختلفت الأدوات؛ ذلك أن الإسلام هو الرسالة الإلهية الأخيرة التي أرسلت للعالمين، وجاء بالقرآن الكريم، الذي يدعو إلى العلم، ويحارب الجهل، ويُعين المظلوم، ويأخذ على يد الظالم، ويحقق التوازن بين طبقات المجتمع، وثقافة تملك كل هاتيك المعاني المنيفة، والقيم العلية، ستواجه عداءً من قِبَل المغرضين.

وليس هدفنا هنا إشباع القول في جميع التحديات المعاصرة التي تواجهها الثقافة الإسلامية - لكثرتها، وتشعب فروعها - لكننا سنتحدث عن أبرزها وأكثرها تأثيراً في العالم الإسلامي، وهو الغزو الثقافي أو الفكري الذي فعَل فعَلته في العالم الإسلامي بأكثر مما فعله الغزو العسكري بأضعافٍ مضاعفة.

الفرع الأول: مفهوم الغزو الثقافي وخطورته.

أولاً: مفهوم الغزو الثقافي.

يقصد بمصطلح الغزو الفكري الثقافي: «تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية عن طريق استعمار القلوب والعقول، وتبديل الأفكار والقيم والعقائد، فيصبح المغزُوك فكرياً خاضعاً بشكل تامّ لقادة الغزو وجنوده»^(١).

وثمة تعريفات أخرى لهذا المصطلح، بيد أنها تدور في هذا الاتجاه، وتتركز على أن الغزو الفكري مجموعة الأساليب غير العسكرية التي يبذلها أعداء الإسلام لتغيير ثقافة المسلم المبتناة على الكتاب والسنة، والتأثير فيها من كل جوانب الحياة، والإحلال محلها بعضاً أو كلاً.

ثانياً: خطورة الغزو الثقافي.

يسعى أعداء الإسلام إلى تحقيق أهدافهم التي لم يحققوها بالغزو العسكري؛ من خلال الغزو الفكري، وتنفيذ مخططاتهم المسمومة ضد الإسلام والمسلمين، للاستيلاء على عقل المسلم وقلبه، واحتلال شخصيته والسيطرة على ثقافته الإسلامية.

وتنكشف هذه الخطورة في النقاط الآتية^(٢).

(١) صالح الرقب، واقعا المعاصر والغزو الفكري، الجامعة الإسلامية، غزة، ط٧، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٣٠.

(٢) حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ١٢١، ١٤٢٤ هـ، ص ٣٥٢-٣٥٥.

١- استئصال العقيدة الإسلامية من قلب المسلم، وصرّفه عن الاعتصام بالإسلام حبل الله المتين، وصرّاطه المستقيم؛ لأن العقيدة الإسلامية هي العقبة الأولى أمام تحقيق مآربهم.

٢- منع انتشار الإسلام خارج بلدان المسلمين؛ لكيلا يؤثر في الأقطار الأخرى بما يمتلكه من مبادئ سمحة، وقواعد إنسانية، وأصول عالمية، وليصرّفوا أنظار أتباعهم عن الدخول في الإسلام، ولتحقيق ذلك اتبعوا وسائل عديدة، منها: تشويه صورة الإسلام ببثّ أباطيل حول الإسلام ومصادره، وتضخيم نقاط ضعف المسلمين وتحميل الإسلام إياها، وتصوير الإسلام على أنه دين تطرّف وعنف ودماء؛ بحجة وجوب الجهاد في سبيل الله، وأنّ العقوبات الإسلامية مناقضة لحقوق الإنسان ولا تنسجم مع الحريات، كعقوبة قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصّن، وجلد القاذف، ومن ناحية أخرى تصوير محاسن الإسلام على أنها مساوئ، مثل: الطلاق، وتعدد الزوجات، وغير ذلك من الشبهات التي تتهاوى في محكمة البحث العلمي المنصف، وردّ عليها علماء المسلمين قديماً وحديثاً.

٣- ضرب الإسلام من الداخل، وذلك بإثارة النزاعات بين المسلمين وتضخيمها، والسعي إلى إفساد المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم، وتقسيم المسلمين من خلال بعث العصبيّات والقوميات الجاهلية، وبثّ النظريات والفلسفات المعادية للإسلام.

٤- نهب خيرات بلدان العالم الإسلامي المليء بالموارد الاقتصادية على مستوى العالم.

الفرع الثاني: وسائل الغزو الثقافي.

لقد انتهج أشياع الغزو الثقافي؛ وسائل عديدة، وتفننوا فيها لتحقيق أهدافهم، وسمّوها بأسماء خلاّبة المظهر، مسمومة الباطن، كالتنصير (التبشير)، والاستشراق، والتغريب، والعولمة، ونجلىّ وسيلتين منها فيما يلي:

أولاً: الاستشراق

- ١- مفهومه: هو «محاولةٌ قام ويقوم بها بعضُ مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه»^(١).
- ٢- أهدافه: يهدف الاستشراق إلى صرف المسلمين عن دينهم، وتضعيف قيم الإسلام، وتعظيم المثل الغربية، ومن أهدافها^(٢):
 - إنكار أن القرآن الكريم كتاب سماوي منزل من عند الله تعالى.
 - عدم الاعتراف بنبوّة محمد ﷺ، حيث يشككون في صحة رسالته.
 - إنكار كون الإسلام ديناً من عند الله تعالى، وإنما هو مَلْفَق من اليهودية والنصرانية.
 - التشكيك في السنة النبوية من حيث ثبوت صحتها.
 - التشكيك في الفقه الإسلامي الذي لم تمتلك مثله في التشريع أمّة في كل العصور؛ لذا ادّعوا أنه مستمدّ من الغرب وفقهه الروماني.
 - تشكيك المسلمين في تراثهم الحضاري بادّعاء أن الحضارة الإسلامية مستقاة من حضارة الرومان واليونان، وأن دور المسلمين ينحصر في نقل فلسفة تلك الحضارة دون إبداع.

(١) محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير، دار قباء، ص ١٠.

(٢) يُنظر: المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، ص ٢٩١-٢٩٢.

ثانياً: التغريب

١- مفهومه:

هو حملة مدبرة وموجهة ضد المسلمين لتطعيمهم الفكر الغربي وحضارته المعادية للإسلام، ليضحى المسلمون تحت تأثير هاته الحضارة، فتقضي على انتمائهم لدينهم، وتمسي الحياة في العالم الإسلامي مثل الحياة في الغرب في كل حقول الحياة^(١).

وعجيب انبهارُ أغلب المسلمين بحضارة الغرب واقتصار نظرهم على الجانب المادي المزخرف منها فحسب، وعدم الالتفات إلى الجانب الروحي المهمش فيها تهميشاً.

٢- عناصر التغريب

ارتكز الغرب على عناصر ثلاثة لتغريب العالم الإسلامي وثقافته، وهي^(٢):

العنصر الأول: تفرغ عقول الأجيال من الدين الإسلامي

سعى الغرب إلى تفرغ عقول الناشئة من مضمونها الإسلامي، ومحتواها الحضاري الذي يربطها بعقيدها وأخلاقها، وكشطها من جميع ما له علاقة بالثقافة الإسلامية.

ولتحقيق ذلك، ادعى وجود تناقض بين العلوم الإسلامية والعلوم الدنيوية، وعزل طلاب العلوم الدنيوية-كالطب، والهندسة وغيرهما- عن طلاب العلوم

(١) علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٠٧.

(٢) يُنظر: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٥٠٩؛ المرتكزات الأساسية للثقافة الإسلامية، ص ٢٥٩-٢٦١.

الإسلامية، فأحدث فجوة عريضةً بينهما، وأفضى ذلك إلى إنتاج فئة متعلمة في المجتمع المسلم لا تعرف أحكام الإسلام إلا التنفيس الذي لا يكفي لبناء شخصية إسلامية متميزة، كما حجب طلاب العلوم الإسلامية عن الحقول الحيوية في المجتمع، فاقصر دورهم على المساجد فقط، وبهذا حقق الغزاة هدفهم من احتلال أفكار المسلمين وعقولهم.

العنصر الثاني: ملء الفراغ بالأفكار الغربية

استهدفت عملية التغريب شحنَ وتعبئةَ عقول أفراد المسلمين بالنظريات والفلسفات المتعارضة مع أصول الإسلام ومبادئه، كنظرية التطور الذي نظر لها (داروين)، وقرر أن أصل البشر قرد تطوّر بمرور الزمن، وهاته النظرية باطلّة؛ لمناقضتها للقرآن الكريم، وكالدعوة إلى بعث النزعات الجاهلية، حيث كانت فكرة القومية سائدة في أوروبا في القرن التاسع عشر، وبنقلها إلى العالم الإسلامي؛ مزّقا الأمة الإسلامية تمزيقاً، فأمسى دويلات متفرقة متنازعة، وكالدعوة إلى استعمال اللغة العامية بدلاً عن اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، وكالدعوة إلى تحرير المرأة وخروجها على تعاليم الإسلام؛ ذلك أن الغرب وأشياعه أدركوا منزلة المرأة في المجتمع، في تنشئة الأجيال، والتأثير في المجتمع، فهُرّعوا إلى تغريبها؛ إذ قاموا بمحاربة اللباس الشرعي للمُسلمة، والدعوة إلى خروجها متبرجة سافرة، وغير ذلك.

العنصر الثالث: تجنيد بعض أبناء المسلمين

قام الغربُ باستدراج بعض أبناء المسلمين لجامعاتهم؛ لإكمال الدراسة فيها، ومنحهم الشهادات العليا في تخصصات الشريعة الإسلامية واللغة العربية والعلوم الإنسانية، وجاهدوا بكل طاقاتهم للتأثير فيهم، وتشويه صورة الإسلام وتاريخه

وعلوميه في نفوسهم، وتثقيفهم ثقافةً غربيةً محضة، حتى إذا رجعوا إلى بلدانهم، أصبحوا جنوداً مقنَّعين للغرب، ويحققون أهدافهم داخل البلدان المسلمة، ودعاة للثقافة الغربية، ويقومون بهدم كلِّ مقوم من مقومات الثقافة الإسلامية.

الفرع الثاني: دور الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة

ثمة سبل مهمة، ووسائل فاعلة، نستطيع من خلالها الوقوف والصمود أمام تيار التحديات المعاصرة الجارف، ومن أبرزها^(١):

١- تقوية الهوية الإسلامية بالرجوع إلى الإسلام، وتنشئة الأمة عليه، حتى يمتلك المسلم العزة المعنوية، ويُمسي متين الصلة بالله تعالى، ويستيقن أن النصر حليف المسلمين إذا استجابوا لله ولرسوله، وسلكوا عوامل النصر، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٢- العمل على إبراز مميزات الإسلام وعقيدته وعدالته وعالمية رسالته وثقافته وأخلاقه للمسلمين قبل الغير؛ ليُدركوا أنهم يمتلكون كنزاً ثميناً لا يملكه غيرهم.

٣- الاهتمام بالثقافة الإسلامية واللغة العربية الفصحى في مناهج التعليم ووسائل الإعلام.

٤- دراسة عوامل نهوض الأمة في الحقول الدينية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والتكنولوجية، وتغيير التخلف إلى تقدُّم، والتكاسل إلى عمل.

(١) أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ص ٣٢-٣٥.

٥- مجابهة التحديات؛ بالاعتناء بالتعليم، والتربية، والثقيف، وزيادة الإنتاج، ورفع الكفاءات، ومحاربة الجهل، والأمية المرتفعة في العالم الإسلامي.

٦- تقليل مساحة الخلافات بين المسلمين شعوبًا وحكومات، أفرادًا وجماعات، والتمسك بحبل الله تعالى المتين؛ لكيلا نعطي الفرصة للأعداء، فيتسللوا من أبوابها.

٧- ضمان الحرية الثقافية المنضبطة بضوابط الشريعة الإسلامية، ومساندتها.

٨- انتهاض وسائل الإعلام بواجبها في صيانة الهوية الإسلامية، ومساندتها، والابتعاد عن جميع البرامج التي لا تتسجم مع الثقافة الإسلامية، وتخرب هوية الأمة، وينبغي لأصحاب القرار الضغط على هاته الوسائل لتحقيق هذا الأمر.

٩- نهضة التعليم باستجلاء سلبيات العولمة، والتغريب، والعمل على تقوية الهوية الإسلامية.

١٠- تفعيل الحوار الثقافي الإسلامي، وتنشيط التفاعل مع الثقافات الأخرى، لنستفيد من إيجابياتها بما لا تتعارض مع شرعنا، ونتجنب سلبياتها، ونعرّفهم ما لدينا من عقيدة، وقيم، وتراث، وحضارة.

خاتمة

في ختام البحث، نسجّل النتائج الآتية:

- ١- لم تتفق كلمة الباحثين المسلمين على تعريفٍ محددٍ لمصطلح الثقافة الإسلامية، ولعلَّ السببَ عائدٌ إلى حداثة المصطلح وجِدَّة المبنى، وثرأ لفظة (الثقافة) من حيث أبعادها الكبيرة، ودلالاتها العريضة، وصلتها بالألفاظ المعنوية التي يصعب تحديد المراد منها، وقد ظهرت الحاجة إلى دراسة (الثقافة الإسلامية) بعد نشوء القضايا المعاصرة في المجتمعات المسلمة، والتحديات التي تعرّض لها العالم الإسلامي.
- ٢- تعتني الثقافة الإسلامية بغيرس العقيدة الإسلامية في عقول المسلمين، وبناء شخصية إسلامية متميزة قادرة على عدم الذوبان في بوتقة أعداء الإسلام، ومواجهة التحديات والمخاطر التي تعرّض لها مقومات الثقافة الإسلامية، وتهدف إلى بناء مجتمع إسلامي واقعي، وإحياء صلة المسلمين بالإسلام.
- ٣- تُستمدُّ الثقافة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم التراث الإسلامي، والخبرات البشرية النافعة، ومن مميزات: إلهية مصدرها، وصلاحيته لكل زمانٍ ومكان، وتوازنها، ووسطيتها، وواقعيتها، وعالمية رسالتها، وإيجابيتها.
- ٤- تعرّضت الثقافة والشخصية الإسلامية لتحدياتٍ شرسةٍ، ومخططاتٍ مسمومةٍ على مرّ العصور، وبأساليب مختلفة، بيد أن أخطر أنواعها وأشدها تأثيرًا في العالم الإسلامي: الغزو الثقافي الذي تغلغل في جسم الأمة الإسلامية، وفعل ما لم يتمكن الغزو العسكري من فعله، وقد

اتخذ هذا الغزو ألواناً شتى ووسائل متشعبة لتحقيق مآربه، ومن أخطرها وأبرزها: الغزو الثقافي المتمثل في التنصير (التبشير)، والاستشراق، والتغريب، والعولمة؛ بقصد استئصال شأفة الثقافة الإسلامية، وزعزعة ثقة المسلم بدينه.

٥- ثمة مداخل عديدة تمتلكها الثقافة الإسلامية لمواجهة التحديات المعاصرة - وتحديدًا الغزو الثقافي - منها: تقوية الانتماء الإسلامي بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وإبراز خصائص الإسلام، وتقليص مساحة الخلافات بين المسلمين شعوبًا وحكوماتٍ، والاعتناء بمؤسسة التعليم، والمناهج التربوية بإدراج الثقافة الإسلامية كمادة إجبارية؛ ليضحى الناشئ المسلم ملتمًا بأساسات دينه، وما يدبر له، وانتهاض وسائل الإعلام بواجبها في صيانة الهوية الإسلامية، والابتعاد عن جميع البرامج التي لا تنسجم مع الثقافة الإسلامية، وينبغي لأصحاب القرار الضغط على هاته الوسائل لتحقيق هذا الأمر.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- أحمد صبحي العيادي، المراكز الأساسية في الثقافة الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، مدار الوطن للنشر، ط ١٥، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- جمال سلطان، الغارة على التراث الإسلامي، مصر: مكتبة السلفية، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، السنة (٣٥)، العدد (١٢١)، ١٤٢٤هـ.
- صالح الرقب، واقعنا المعاصر والغزو الفكري، الجامعة الإسلامية، غزة، ط ٧، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- عدنان زرزور، إنسانية الثقافة الإسلامية: مدخل وتمهيد، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- علي عبد الحلیم محمود، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- عمر سليمان عبد الله الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، الأردن: دار الفئاس، ط ١٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط ١٥، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، مشكلة الثقافة، دمشق: دار الفكر، ط ٤، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- محمد أبو يحيى وآخرون، الثقافة الإسلامية: ثقافة المسلم وتحديات العصر، الأردن: دار المناهج، ط ٥، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
- محمد السيد الجليند، الاستشراق والتبشير، دار قباء، د. ط. ت.
- نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- يحيى رامز كوكش، خالد إبراهيم الفتياني، الواضح في الثقافة الإسلامية، الأردن: دار المسيرة، ط ٢، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.